العرب
الأحد 2021/09/05
السنة 44 العدد 12170

فشل المسلمين والمسيحيين في لبنان!

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

هل يمكن للبنان البقاء بشكله الحالي على خارطة الشرق الأوسط... أم هو مهدّد بالزوال؟ هذا السؤال يطرح نفسه بحدّة في مناسبة ذكرى الأول من أيلول – سبتمبر، وهي ذكرى الإعلان عن دولة لبنان الكبير. عاش لبنان، إلى الآن، مئة سنة وسنة واحدة. لم يعرف أهله المحافظة عليه في ضوء العجز عن فهم أهمّية بلدهم ودوره وتميّزه.

لعلّ أهمّ ما عجز اللبنانيون عن استيعابه أن ليس في استطاعتهم الانقسام داخليا عندما يكون الموضوع المطروح هل يمكن تحرير فلسطين انطلاقا من لبنان، وخوض حروب خاسرة سلفا نيابة عن آخرين، آخرهم "الجمهوريّة الإسلاميّة" الإيرانيّة؟

لبنان خسر نفسه ولم يربح شيئا. كان مزدهرا وكان طليعيا وكان قبلة العرب والأجانب. كان الجميع يريد المجيء إلى لبنان. في 2021 بعد خمس سنوات على وصول ميشال عون إلى موقع رئيس الجمهوريّة، إيذانا ببدء «عهد حزب الله»، لم يعد من لبناني يريد البقاء في لبنان

دفع اللبنانيون بعد قرن وسنة على قيام لبنان الكبير ثمن غياب المنطق. لم يفهم المسلمون أن لبنان أفضل من يحميهم ويحمي حقوقهم وأنّ ليس ما يدعو إلى اعتبار الفلسطينيين جيشهم كي يحصلوا على حقوقهم في بلد كانت فيه الحقوق مصانة للجميع، من دون أن يعني ذلك أن لبنان كان بلدا مثاليا.

في المقابل، لم يفهم المسيحيون أن رئاسة الجمهوريّة لا تستأهل الاستسلام لا لمنطق منظمة التحرير الفلسطينيّة في العام 1969، تاريخ توقيع اتفاق القاهرة المشؤوم... ولا التحوّل إلى أداة لدى "حزب الله" من أجل أن يتمكن ميشال عون من الإقامة في قصر بعبدا والمناداة باستعادة حقوق المسيحيين.

فشل المسلمون في الحصول على ما يعتبرونها حقوقا مفقودة بواسطة السلاح الفلسطيني وفشل المسيحيون في الحصول على أيّ حقوق بواسطة سلاح "حزب الله" الذي ليس سوى لواء في "الحرس الثوري" الإيراني. بين السلاح الفلسطيني والسلاح الإيراني، ضاع لبنان.

لعلّ أخطر ما يحصل حاليا، إضافة إلى انهيار بلد، وهو انهيار لا قاع له، موجة الهجرة الجديدة. لم يعد لبناني يريد البقاء في لبنان. على من يريد الحصول على تأشيرة أميركية انتظار موعد في السنة 2022... هذا إذا تمكن من الحصول على مثل هذا الموعد.

قبل سنة في مناسبة مئويّة لبنان الكبير حين حضر الرئيس إيمانويل ماكرون إلى بيروت بغية المساعدة في تشكيل حكومة جديدة سمّاها "حكومة مهمّة"، ألقى رئيس الجمهوريّة كلمة تعطي فكرة عن غياب الوعي المسيحي لما يدور في المنطقة وداخل البلد نفسه.

كتبت وقتذاك: كيف يمكن لرئيس الجمهورية اللبنانية إلقاء خطاب طويل في ذكرى مئوية "لبنان الكبير" مِن دون الحديث الصريح عن المشكلة التي يعاني منها لبنان واسمها سلاح "حزب الله"؟

لا توجد خدمة يستطيع ميشال عون تقديمها إلى لبنان سوى خدمة الاستقالة من موقع رئيس الجمهورية قبل انتهاء ولايته في آخر تشرين الأول – أكتوبر 2022. يفترض به أن يفعل ذلك احتراماً للبنان واللبنانيين ولعقولهم، خصوصاً بعد كارثة الرابع من آب – أغسطس الماضي (تفجير مرفأ بيروت) التي يتحمّل مسؤوليتها كاملة.

بعد قرن على قيام "لبنان الكبير"، هناك من لا يزال يعتقد أن في استطاعته الضحك على اللبنانيين. هناك رئيس للجمهورية عاجز عن استيعاب معنى أن يكون أسيراً لدى "حزب الله" الذي أوصله إلى قصر بعبدا. أن يكون رئيس الجمهورية اللبنانية رهينة لدى "حزب الله" يشكّل دليلاً على أن البلد انتهى. ما يؤكد ذلك الإصرار على تغيير طبيعة النظام بما يتلاءم مع رغبات "حزب الله".

هل يمكن القول بعد 100 عام على تأسيس الكيان اللبناني الحالي أن "حزب الله"، الذي ليس سوى لواء في "الحرس الثوري" الإيراني خرج منتصراً على لبنان؟ نعم، خرج منتصرا، خصوصاً إذا سارت الأمور في اتجاه تعديل اتفاق الطائف في ظلّ تفادي أي طرح للمشكلة الأساسية التي يعاني منها لبنان، أي سلاح "حزب الله"، وهو سلاح ميليشياوي ومذهبي... لبنان يحتفل بمرور 100 عام على قيامه بوجود رئيس للجمهورية مَدين بوصوله إلى قصر بعبدا لإيران، ممثلةً بـ"حزب الله" وليس لأي طرف آخر.

هذا كان قبل سنة. الآن، كلّما مرّ يوم، يتبيّن كم أن المأزق اللبناني عميق. سيزداد الوضع اللبناني صعوبة في غياب الكهرباء والوقود وانهيار الاقتصاد، بما في ذلك النظام المصرفي. لم تعد العملة اللبنانية تساوي شيئا في بلد يفتقد الدواء. بلد يظنّ رئيس الجمهوريّة فيه أن لا حاجة إلى حكومة إذا لم يأت من يؤكّد له أن صهره جبران باسيل سيكون رئيس الجمهورية المقبل!

بعد مئة سنة وسنة واحدة، من سوء حظ لبنان أنّه لم يعد همّا عربيّا أو دوليا. إذا كان لا يزال هناك بعض الاهتمام الأميركي، فإنّ هذا الاهتمام تبخّر مع الانسحاب الأميركي من أفغانستان. سيكون على إدارة جو بايدن الاهتمام في الأشهر القليلة المقبلة في معالجة ذيول الانسحاب الكارثي من أفغانستان. الأهمّ من ذلك كلّه أن العرب فقدوا الأمل بلبنان. عربيّا، لم يعد هناك تمييز بين الدولة اللبنانية ومؤسساتها من جهة و"حزب الله" من جهة أخرى.

ضاع لبنان بسبب أبنائه أوّلا. إذا كان الشيعة يعتقدون أن "حزب الله" سيجعل منهم مواطنين من الدرجة الأولى، فإن اليوم الذي سيدركون فيه أن كلّ ما يستطيعه هو زيادة البؤس في البلد كلّه بكلّ طوائفه، ليس بعيدا. كلّ ما في الأمر أن "حزب الله" يعمل من أجل إيران ومن أجل أن يكون لبنان ورقة من أوراق التفاوض بينها وبين "الشيطان الأكبر".

خسر لبنان نفسه ولم يربح شيئا. هذا بلد كان مزدهرا وكان طليعيا وكان قبلة العرب والأجانب. كان الجميع يريد المجيء إلى لبنان. في 2021 بعد خمس سنوات على وصول ميشال عون إلى موقع رئيس الجمهوريّة، إيذانا ببدء "عهد حزب الله"، لم يعد من لبناني يريد البقاء في لبنان.

صار لبنان أرضا طاردة للشعب اللبناني. لم يعد من مقوّمات للصمود والتعلّق بالأرض. صارت الهجرة حلما. ذلك هو الإنجاز الوحيد للعهد القائم الذي سمّى نفسه "العهد القويّ". إنّه عهد قويّ بالفعل، قويّ على لبنان واللبنانيين وتحويلهم إلى مجرّد متسوّلين وأذلّاء في بلدهم لا أكثر...

هل عاش لبنان أكثر مما يجب. هل مئة سنة وسنة واحدة كثيرة على لبنان واللبنانيين؟

دروس الاحتلال والحرية الزائفة

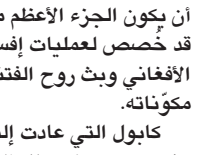

فاروق يوسف
كاتب عراقي

أعادت الولايات المتحدة عقارب الساعة عشرين سنة إلى الوراء. هذا هو المعنى المباشر لما فعلته في أفغانستان.

يُقال إنها أنفقت أكثر من تريليوني دولار على مغامرتها الفاشلة هناك وليس من المستبعد أن يكون الجزء الأعظم من ذلك المبلغ قد خُصص لعمليات إفساد الشعب الأفغاني وبث روح الفتنة بين مكوّناته.

كابول التي عادت إليها طالبان منتصرة هي غير تلك الـ"كابول" التي طُردت منها عام 2001.

مضت كابول القديمة ولا يمكن استعادتها. كما أن كابول الجديدة لن تكون مدينة قابلة للترويض إلا بصعوبة. لا لأنها تمدّنت وهو ما حاوله الأفغان بحسن نية، بل لأنها أُفسدت وهو ما فرضه الأميركان.

لن ننتظر من كابول أن تدجّن وحش طالبان، ولكن قدرة طالبان على فهم ما طرأ من تحولات على البشر ستكون محدودة وهو ما يمكن أن يسبب صداما قاسيا من جهة تداعياته.

ما يهم الغرب كله، وهو الذي ساهم في تلك المغامرة، هو كيف ستتعامل حركة طالبان مع الإرهاب؟ في أيّ جهة من جهات سياساتها الخارجية ستضعه؟ هل ستنبذه أم تعود إلى احتضانه؟ أيمكن اعتبارها طرفا متعاونا في الحرب ضد الإرهاب؟ لا شيء أكثر. لا شيء أبعد. عقل تبسيطي ومصالح ضيقة هما ما تبقى من المعادلة الأفغانية لدى الغرب.

هل يخشى الغرب الشعور بعقدة ذنب؟

يبدو أن سياسته الذرائعية قد بدأت بتحريك ماكنتها الإعلامية الجبارة. لم يفشل المشروع الأميركي لأنه قام على الغزو ومن ثم الاحتلال وإحلال قيم مستوردة محل قيم ذات جذور متأصلة، بل لأن الشعب لم يكن مؤهلا للدفاع عن التجربة الديمقراطية التي حملها الأميركان معهم.

لقد هرب الرئيس الأفغاني ورفض الجيش الدخول في حرب أهلية تعيد الأفغان إلى مآسي الحروب الأهلية السابقة. سيزعم الأميركان أن الشعب الأفغاني خذلهم وخان نفسه حين استسلم بيسر لطالبان وفي وقت قياسي.

لن ننتظر من كابول أن تدجّن وحش طالبان، ولكن قدرة طالبان على فهم ما طرأ من تحولات على البشر ستكون محدودة وهو ما يمكن أن يسبب صداما قاسيا من جهة تداعياته

سواء ما يتعلق بطالبان أو ما يفسّر موقف الجيش الأفغاني فإن هناك قدرا هائلا من التلفيق هربا من الحقيقة.

الأميركان هم الذين أعادوا طالبان إلى الحكم في كابول. ليس مطلوبا من أشرف غني وهو رئيس انتخب في ظل الاحتلال أن يبقى في قصر الرئاسة في انتظار تنفيذ حكم الإعدام به. أما الجيش الأفغاني فهو مثل الجيش العراقي عبارة عن مزيج غير منسجم من المتطوعين الباحثين عن العمل بمعنى أنهم مجرد مرتزقة وذوو المنسوبية من الذين أخرجتهم رتبهم العسكرية العالية التي حصلوا عليها بطريقة عشوائية من العالم السفلي.

لا يمكن أن يكون هناك جيش حقيقي في دولة افتراضية.

وكما يبدو فإن الأميركان قد حرصوا في حالتي العراق وأفغانستان على إقامة دولتين افتراضيتين. ولكن هل نظروا إلى الشعب باعتباره شعبا افتراضيا؟ أعتقد أن تخليهم عن أفغانستان وتسليمها لحركة لا تزال تحتل مكانا مرموقا على لائحة التنظيمات الإرهابية ينطوي على شيء من ذلك القبيل.

أبدو كمَن يرغب في استمرار الاحتلال. هل فتح الانسحاب الأميركي وإنهاء الاحتلال الأبواب أمام أفغانستان وشعبها على الحرية والسلام؟ ولكن التوقيت الأميركي لا علاقة له بما تريده الشعوب. كان الأميركان يتفاوضون مع حركة طالبان في الدوحة من غير أن يكون هناك ممثل للشعب الأفغاني.

كان الأميركان يتفاوضون على صيغة غير مهينة لخروجهم. لم يكن للشعب الأفغاني محل على طاولة المفاوضات التي هي أشبه بطاولة قمار، يرغب الجالسون من حولها أن تنتهي اللعبة من غير خسائر.

أما الأفغان فقد خسروا عشرين سنة. "يكفي أننا وهبناهم عشرين سنة حرية" تلك واحدة من أكاذيب الإعلام الذرائعي. كانت عشرين سنة من الحرب. غير أن الأفغان صدقوا أن في إمكانهم أن ينجوا من الظلامية الدينية ويخرجوا إلى العالم الحديث. كان في إمكان الأميركان أن يحققوا جزءا من ذلك الحلم لو أنهم رأوا الشعب. غير أنهم لم يروا سوى عملائهم الذين حرصوا على سلامتهم حين وقّعوا اتفاق الدوحة وحين أجلوا رعاياهم من مطار كابول.

ليس هناك هامش للشعب الأفغاني في الفكر السياسي الغربي بشكل عام والأميركي بشكل خاص. بضربة إصبع أقفلت أبواب الحياة الحديثة في كابول وبدأ عصر البرقع مرة أخرى. كل ما يُقال عن حقوق الإنسان وعمل المرأة وتعليمها وقيمتها الاجتماعية والحريات العامة هو محاولة للالتفاف على العقوبات الاقتصادية. سيكون واضحا أن طالبان هي الحل. وهو ما يعني أن موجات المهاجرين الأفغان ستزداد تدفقا.

مَن يتساءل عن مستقبل العلاقة بطالبان لا يخذل شعب أفغانستان فحسب بل ويخون الحقيقة أيضا.

مقاتلو طالبان يتحكمون بالرقاب

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk